فكاهات

صريعا غرام

— ١ —

صديقتي العزيزة

عتبتِ عليَّ لانقطاع رسائلي عنكِ ولو علمتِ السبب لعذرتِ ورحمتِ. ولقد شقّ عليَّ اتهامكِ اياي بالتحوُّل عن عهد ولآئكِ وانتِ ادرى الناس بصدق مودتي ولذلك لم ارَ بدًّا من تسطير هذه الرسالة الطويلة لاطلاعكِ على ما المَّ بي من حوادث الزمان لعل قلبكِ الشفيق متى وقف على سرّ المسألة يجد لي عذراً ويكون لي عندكِ شفيعاً

يا رعى الله ايام الطفولية وزمن الحداثة الاولى فقد كنتُ فيها خلية القلب ناعمة البال ولم تكن العصافير اكثر مني تغريداً ولا الفراش اكثر تنقلاً بين الازهار ولم يكن مرور النسيم على وجنات الورد اخفّ وطأةً من خطرات اقدامي في حديقة ربيع هذه الحياة الدنيا . وكنت اخال ان العالم خُلق لاجلي وان الحياة أُعطيت لنا لنتمتّع بمسرّات هذا الوجود ولم احسب الهمّ والحزن والاشجان الا الفاظاً اوجدتها الضرورة في معجمات اللغة لتكمل بها مفرداتها . ولكن الايام علمتني ما لم تعلّمنيه المدرسة والزمان استاذٌ قاسٍ لا يلين ولا يرحم فهو يزيد المتعلّم حكمةً واختباراً يبتاعهما بدم قلبهِ ومسرّة فؤاده ...

اذا ذكرتِ الحالة التي كنتُ فيها ايام المدرسة ونظرتِ اليَّ الآن وانا اكتب اليكِ هذه الرسالة ودموعي تكاد تمحو سطورها عجبتِ من التغيير العظيم الذي طرأ عليَّ ولو رأيتني اتهادى في مشيتي وانا اتخطر في ارض غرفتي بقدمٍ متثاقلة ورأسٍ مطرق وصدرٍ مضطرب لعلمتِ ان القلب الذي هو مصدر الحياة مصابٌ بعلةٍ لا دواء لها وان هذه العلة التي تستحثّني الى القبر هي سبب سعادتي واشجاني معاً . ولا اظن انهُ يوجد في هذا الكون الا علة واحدة تجمع بين السعادة والشقآء واللذة والالم والمسرّة والاحزان وهي التي اشكرها واشكوها . فهل عرفتِ ما هي .. يتراءى لي كأنكِ تسخرين مني او تحزنين عليَّ بعد اطلاعكِ على ما تقدم وربما خطر لكِ ان تبعثي اليَّ ببعض النصائح والانذارات كانكِ تحاولين تبديد همومي او تحويلي عن عزمي فاقول لكِ لا تُتعبي نفسكِ بامورٍ كهذه لاني ولا ازيدكِ بياناً في امري عاشقة متيّمة قد استرقّني الحبّ واستعبدني الهوى فلا تفيد النصيحة شيئاً ولا يدفع العذل مقدوراً ...

جرت عادة الفتيات ان يحاولنَ اخفآء الغرام بزعمهنَّ ان اباحة ما في الفؤاد من اسرار الهيام يحط من كرامتهنَّ اما انا فاحسب ان عملهنَّ رياءٌ ولستُ اجاريهنَّ فيهِ فاقول ولا اخشى اللوم اني احبّ واني افتخر بحبي . وازيد على ذلك ان الفتى الذي اختارهُ قلبي حبيباً يحبني فوق ما كنت اتوقع وهذا ما يجعلني سعيدةً مغتبطة ويزيدني جلَداً على احتمال البلايا التي لا يخلو سبيل الحبّ منها ...

ويلاهُ . كنت اظن ان طريق الحب مفروشة باوراق الازهار

فكأنّ السائر عليها يتخطّر على اسرّة الحرير ولم اعلم ان في تلك الطريق من الوعورة ما يُعيي اعظم الروّاد إقداماً ويستنزف قوى الجبابرة . نعم . ان الحب يزيد المرء تعقلاً ويكسبهُ دربةً لا يعهدها فيهِ وهو خلي فقد علمت الآن ان لا مسرّة الا مصحوبةٌ بألم ولا راحة الا مقرونةٌ بمشقّة ولا زهرة ورد الا محاطةٌ باشواكٍ حادّة تدمى منها يد حاملها قبل ان يتنعّم باستنشاق رَيّاها ...

لا اظنكِ تعرفين حبيبي ولست بذاكرةٍ لكِ اسمهُ فاني لا اطيق ان ارى غير عيني تقرأ حروفهُ ولا غير اذني تسمع لفظهُ . فلستُ ازيدكِ في تعريفهِ على قولي اني احبّهُ وانهُ يحبني . وهذا الحب الشديد المتبادَل قد وحّد قلبينا وآمالنا ومقاصدنا وجعلنا نتوقع ضمّ جسمين تجول فيهما حياةٌ واحدة . فنحن نحبّ لاننا نحبّ وليس لحبنا من سببٍ آخر ولا تأثير للجمال والمال والشهرة والصيت وسائر خزعبلات العالم علينا فالحبّ وحّد افكارنا ولذتنا وسعادتنا وهو كل ما نرجوهُ من زماننا ...

قلت لكِ اني سعيدة بهذا الحبّ ولكن هل عرفتِ ان السعادة لا تأتي مجرّدةً وان الدهر المولع بجمع الاضداد لم يدعنا نجني الزهرة الاولى من ازهار هذه السعادة حتى اصابنا بالمقيم المقعد ورشقنا بنبال المصائب فدسّ في كأس المسرّة سمّ الويل وادار علينا من دموعنا كؤوساً مترعة كانت تزيدنا ظمأً الى الحب كلما شربناها ...

فما سبب حزني واكداري وما الباعث على سكب دموعي .. ان قومي ناقمون عليّ لاني احبّ ... حبيبي ... وهم لا يرضونهُ لي قريناً بل

يودُّون تزويجي من احد الفتيان الاغنيآء الذي لا احبهُ ولا اقدر البتة ان اميل اليهِ . فما عشقتُ باحشآئهم حتى احبّ الذي يحبونهُ ولا اعلم كيف يجوز لهم في شرع العدل والحب ان يجعلوا قلبي سلعةً للمعاملة . فانا واقفة في اشد الضيق لاني لا اريد ان أعصي اوليآء امري ويأبى الله ان اخون حبيب قلبي . ولقد ضاع رشادي ولا اعلم كيف اتخلَّص من هذه البليّة فاني لا اخرج عن رضى قومي ولو فاتني حبيبي ولكني لا اتركهُ ولو اضعت حياتي ...

دخلت عليَّ يوماً عمتي فوجدتني مستخرطة في البكآء فقالت لي كفكفي دموعكِ واصغي لما اقولهُ لكِ . انك تبكينَ وتنوحينَ على بعد ذلك الفتى الذي تودّين الاقتران بهِ ولكنكِ لن تصيري لهُ زوجةً ولو افضى بكِ حبهُ الى التلف وانهُ لأيسر علينا ان نراكِ مدرجةً في الاكفان من ان تكوني لهُ زوجةً . فقلت لها وما السبب في هذا الحنق كلهِ هل اتى زلةً لا تُغتفَر . قالت لا ولكنهُ ليس من ارباب الثروة وفي هذه الايام لا يتزوّج الناس من اجل الحب بل من اجل المال . فقلت لها انا راضية ان اعيش معهُ فقيرة فدعوني وشأني . قالت اخرسي ايتها الغبيّة فانكِ تجهلين اهمية الثروة . ان الحب وهمٌ لا يلبث ان يزول واما المال فهو اساس السعادة والكرامة والصفآء فلو كان حبيبكِ مثرياً لما وقفنا في سبيل حبكما . قلت لها اني اصبر اذاً الى ان يبتسم لهُ الزمان . فعبست وقالت ان الفتاة لا يليق بها ان تطيل عهد العزوبة فلا بدّ من زواجكِ بمن اخترناهُ لكِ سوآء رضيتِ بهِ ام لم ترضي ...

فهذه قصتي يا عزيزتي ارويها لكِ وانا عالمة انكِ لا تستطيعين ان تفرجي كربتي وتدفعي همّي ولكني اعلّل النفس بالآمال وأحيا على الرجاء فان لم يسعدني الحظ بالحصول على من احبتهُ نفسي فسابقى كما انا محافظةً على عهد حبهِ الى ان ينقضي اجلي ويكفيني من ذلك ان يعلم اني بقيتُ مخلصةً لهُ واني لم انكث عهدي ولا حنثت بميني ...

والآن استودعكِ الله ايتها الحبيبة وان كان الله قد كتب لي حظًّا بالسعادة في هذه الحياة فسأبشركِ بعد حين بزوال كربي وفوز قلبي بحبيبهِ والا فابكي عليَّ وقولي عني « عاشت للحبّ وماتت بهِ »

الميا نورا

— ٢ —

ايها الصديق الصدوق

خلّ نصحك لغيري فلا يفيد النصح في من اصمّ اذنيهِ عن سماعهِ واعلم ان فؤادي قد خُلق للحبّ فالحب ألزم لحياتي من الدم لعروقي والهواء لرئتيَّ فاذا زال من مسكنهِ زالت حياتي . ولقد لقيت من الحب ما لم يلقهُ احد فلم اتمتع بلذةٍ الا كان الحب مصدرها ولم تنلني بليّة الا رجعت في استقرآء سببها الى الحب فهو نعيم حياتي وجحيمها

لقد عذلتني على استسلامي للحب وحاولت ان تثير في صدري عاصفة النخوة وتبغّض اليَّ آل الحبيب بما كتبت اليَّ عن شدة تحاملهم عليَّ وتصميمهم على مناوأتي وابعادي ولكنك لم تعلم ان آل الحبيب هم احبآئي

وان الحب قد خالط كل قطرةٍ من دمي وكل نسمةٍ من انفاسي فلم يُبقِ فيَّ موضعاً للبغض حتى لقد يهون عليَّ ان ابذل وجودي في سبيل الحب لاني اعتمد ان الحب الصحيح الخالص هو ما ملأ الجوارح وغلب على الحواسّ وكان غاية ما ترجوهُ النفس ومنتهى ما تطلبهُ الاماني . وانا لشدة حبي اتيه في مجاهل الفكر فلا يتمثل على صفحة خيالي الا الفتاة التي هي عندي كل ما في العالم من سعادة ومسرّة وغنى وكل ما سواها من اشباح الخلائق يمرّ امام ناظري كما يمرّ الظلّ على الارض فلا يؤثر فيها ولا تشعر بفراقهِ اذا اوحشها

لقد حرّموا عليَّ زيارتها وحالوا بين رسائلي وبينها وقطعوا كل سببٍ يصل بين شخصينا وفي زعمهم ان القطيعة تصرم حبال الحب وان الهجر يعلّم الوفيَّ الخيانة وقد جهلوا ان ليس في هذا الكون اسوارٌ تعترض في سبيل الحب لانهُ يملأ المسكونة فلا يقدر احدٌ ان يحجر عليهِ ولانهُ ليس بمادّةٍ فيُقيَّد فهو حيٌّ في الهجر واللقآء متوفرٌ في البعد والقرب فلا بُعد المزار يفنيهِ ولا انقطاع المواصلة يلاشيهِ والحب الذي تميتهُ امثال هذه العوائق لا يكون حباً حقيقياً بل يكون حدَثاً من احداث الشهوة مماثلاً البرق في شدة وميضهِ وسرعة اختفآئهِ

ولقد وددتُ لو استطعتُ ان اذعن لمشورتك واترك هذا الحب الذي اذاب جسمي وألبسني الضنى والنحول ولكن ليس ذلك في طاقة يدي . فانا باقٍ على عهد ولآئي صابرٌ على النوائب الى ان يشرق كوكب سعدي فيبدّد غياهب النحوس او الى ان تنضب آخر قطرةٍ من دمآئي فاموت على

الحبَ الذي نشأتُ عليهِ وحييت لهُ . والمرء يفني العمر املاً ولا يزال يعلل النفس بالمنى لان الامل اعظم تعزيةٍ واكبر سلوةٍ فلا تجرّدني من هذه النعمة الاخيرة لان الحياة بلا امل اصعب من الموت

لقد حاولتَ في كتابك ان تريبني في صدق مودّة مالكتي ولولا يقيني بصدق ودادك واخلاصك لاثرت من سخطي عليك جيشاً يهدم كل ما بنيناهُ من صروح الولآء السابق . فحذارِ من العود الى مثل هذا الكلام فانك لو عرفت حبيبتي لعلمت انها تختار الموت على الحنث بيمينها . فانا واثقٌ بوفآئها عالمٌ بشدة حبها لي موقنٌ انهُ لا توجد قوة بشرية تستطيع ان تنزع من قلبينا الحب الذي يشعر بهِ الواحد منا للآخر . فنحن سعيدان بهذا الحب ناعما البال من هذا القبيل ولكن الذي يسوءنا مناوأة قومها لنا ورغبتهم في كسر قيود الحب التي ارتبطت بها قلوبنا غير عالمين ان بكسرها اهلاك قلبين صيَّرهما الحب واحداً

ولست استطيع ان اكتب اليك زيادة على ما كتبت لاني لا اجسر ان اطلق لقلمي العنان لئلا يجمح بي ويدفعني الى كتابة ما لا اودّ ان ابوح بهِ الآن ولكني ازيدك على ما تقدم ان اليأس قد بلغ مني وان الغمّ قد انحل بدني والوجد احرق فؤادي فان لم يأتنا فرجٌ قريب لم ألبث ان اقول على الدنيا السلام

أُؤمل وصلاً من حبيبٍ وانني ... على ثقةٍ عما قليلٍ افارقهْ
تَجارَى بنا خيل الحِمام كانما ... يسابقني نحو الردى واسابقهْ
فيالينتا متنا صغاراً فلم يذق ... مرارةَ فقدي لا ولا انا ذائقهْ

وفي الختام انصح لك ان تصون فؤادك من الحبّ الا اذا اردت ان تذوق الموت كل يوم كما يذوقهُ المحبون الاشقيآء والسلام عليك من محبك ارنست

— ٣ —

قال الراوي

دفعتني الرغبة بعد اطلاعي على الرسالتين المار ذكرهما الى البحث عما جرى لهذين العاشقين وبعد ايام ناولني محدّثي رسالتين اخريين فنشرت الاولى وقرأت فيها ما يأتي

حبيبي ارنست

انقطعت رسائلي عنك هذه المدة من الزمان اضطراراً للامر الذي تعلمهُ وكان في ظني ان انقطاعي عن مكاتبتك يؤول الى نزع حبي من قلبك وقلت في نفسي لعلهُ يسلوني ويستريح من عذاب الهجر . على اني في الوقت نفسهِ لم افتر عن السعي في استعطاف الخواطر النافرة وتلين القلوب القاسية ولكن على غير جدوى الى ان بلغ مني اليأس واستولى عليَّ الارق والنحول ثم علمت ان هذا الانقطاع لم يزدكَ الا شغفاً وسقماً فكان ذلك مما زاد شجني وبلبالي حتى مرضت ولزمت الفراش اسبوعين لا انهض من مكاني ولا اكاد اعي ما حولي ولم يكن ذكرك يفارق فمي ولا خيالك يغيب عن ناظري . ولما رأت عمتي ما آل اليهِ امري رقّت لحالي وكلّمت والدي في شأني وقد جآءتني اليوم فبشرتني باعلان رضاهُ عن حبنا ورحمتهِ

لفؤادينا ولذلك بادرت الى كتابة هذه الكلمات ابشرك بها ان نجم سعدنا قد آذن بالطلوع وان حبيبتك التي لم تنسَ حبك لحظةً لا تزال امينةً في حبها لك وهي تنتظر زيارتك بكل اشتياق لتضع يدها في يدك وتنسى كل ما قاست من الآلام الماضية اليانورا

وهذا ما جآء في الرسالة الثانية

حبيبتي اليانورا

ان رسالتكِ اللطيفة قد انتشلتني من القبر الذي كنت على شرف الوصول اليهِ واني لم تخامرني ادنى شبهةٍ قط في صدق ولآئكِ ولم يكن عندي شك في ان الحبّ الطاهر يسود ويفوز على جميع العوائق . وهآءنذا آتٍ اليكِ بقلبٍ قد تجددت حياتهُ وصدرٍ يطفح مسرّةً وحبوراً لأمحو بقبلةٍ واحدة كل ما تركهُ البعاد من الشقآء والآلام فلتباركِ السمآء يا مالكة قلب محبكِ واسيركِ

ارنست

وكانت خاتمة هذه الرواية ان مرارة الصبر عقبتها حلاوة الفوز وغزت طلائع الحب جيوش الشقاق ودُفنت التذكارات المؤلمة في قبر النسيان وضفرت السعادة على رأس الحبيبين اكليل الغبطة والهنآء

اذا لم تذق في هذه الدار صبوةً فموتك فيها والحياة سوآء

م * ن ...